الفصل الثاني

التنبؤات في العهد القديم

يصف أفلاطون التنبؤ بأنه "أسمى الفنون" وكان القدماء يمارسونه على نطاق واسع عن طريق أماكن الوحي المختلفة **Oracles** فقد كان في العهد القديم مراكز خاصة للتنبؤ يذهب إليها الناس لاستشارة الآلهة فيما ينوون القيام به من أعمال، فتتحدث إليهم الآلهة على لسان الكهنة الموجودين في كل مركز من تلك المراكز وبأسلوب خاص يتميز به كل مركز منها.

وكان الرأى أن هذا النوع من النبوءات يعد ضرباً من الهذيان، إذ كان يعتري الكهنة في تلك المراكز التنبؤية نوع من الهذيان، فتنطلق ألسنتهم بأقوال تنبئ عما سيحدث في قابل الأيام. وقد فسر سقراط هذا الهذيان بأنه هبه خاصة من السماء ومنبع أعظم النعم بين البشر. فقد أسبغت كاهنات دلفي ودودونا – وكانا من أهم المراكز التنبؤية في بلاد اليونان القديمة – نعماً وفيرة على بلاد اليونان عندما كان يعتري هؤلاء الكاهنات هذا الضرب من الهذيان في حين أنهن لم يقدمن إلا القليل من هذه النعم وهن في كامل وعيهن.

لقد كان هذا هو رأى أعظم حكماء اليونان في هذه النبوءات الأمر الذي جعل جميع الإغريق يعتقدون فيها طوال مئات بل آلاف من السنين، ويغمرون مذابح المعابد القائمة في تلك المراكز التنبؤية بالهدايا والقرابين

حتى إننا عندما نقرأ اليوم عن وحي دلفي وما كان به من ساحات متسعة ونافورات ومعابد جميلة، واستاده العظيم ومسرحه الفخم وتماثيله الرخامية العديدة والأخرى المصنوعة من البرنز بل ومن الذهب، ورسومه التي أبدعتها ريشة الرسام الإغريقي الشهير بوليجنوتس Polygnotus لتضاءل أمام أعيننا جميع الكنوز الآن في أكبر المتاحف العالمية.

لقد تجمع هذا الثراء العظيم في بقعة واحدة من أرض اليونان لوجود كاهنة في تلك البقعة تدعى "بيثيا" Pythia كانت تلوك بين أسنانها بعض أوراق شجر الغار وتستنشق الغازات التي كانت تنبعث من شق في الصخر أسفل الكرسي الذي كان تجلس عليه، وتشرب من مياه نبع كاسوتس المقدس فتعتريها شبه غيبوبة وتهذي بكلام ينبئ عما سيقع من أحداث في مستقبل الأيام.

كان الناس يلجأون إلى كاهنة دلفي هذه ويلقون إليها بأسئلتهم فتأتيهم الإجابة وكثيراً ما تكون مشوشة وغير مفهومة بالنسبة للسائل فيتصدى لتفسيرها حاشية بيثيا من الكهنة الملازمين لها ويصيغونها في أبيات مفهومة من الشعر المرسل. وإن ثراء وحي دلفي وشهرته الكبيرة التي طالت مع الزمن لديل قوي على أن الناس في ذلك العهد القديم كانوا يعتقدون في صحة النبوءات التي تصدر عن هذا الوحي، وأنها قد تحققت على مدى الأيام.

ولعل أقدم مراكز التنبؤ اليونانية هي وحي دودونا Dodona في جنوب مقدونيا. وكان هذا المركز يقوم وسط مرج من أشجار البلوط.

وكان الاعتقاد أن حفيف هذه الأشجار يحمل في طياته إرادة الإله زيوس ومشيئته. وكان الكهنة بدروهم يقومون بتفسير هذه الأصوات التي تنبعث من أوراق هذه الأشجار ويعدونها الإجابة المنشودة عن الأسئلة التي كانت تنهال على كهنة هذا المركز من الوافدين إليهم من جميع أنحاء اليونان استنباء عما يخفيه عنهم القدر من أمور وأحداث.

والظاهر أن الآلهة كانت تتعشق المروج والأشجار وخاصة أشجار التوت والبلوط ونبات الطرفاء. وتذكر كتب التاريخ أن جان دارك تلك المسيحية العذراء كانت تستمع إلى هواتف عليا تأتي إليها من بين أشجار الغابة التي كانت ترعى فيها أغنامها حتى أنها قد توسلت إلى جلاديها قبل إحراقها أن يذهبوا بها مرة أخرى إلى الغابة حتى تستمع إلى هذه الهواتف السماوية التي كانت تستمع إليها من قبل في غابات موطنها دومرمي **Domremy** من أعمال فرنسا.

ومهما يكن من الأمر فإن وحي دودونا هذا كان قديم العهد في الوقت الذي أخذ فيه هوميروس يتغني بأشعاره. وقد تجمعت حول هذا الوحي الكثير من الأساطير والأخبار، منها أن جماعة من أهل مقاطعة بيوشيا اليونانية جاءوا لاستشارة هذا الوحي فأشارت عليهم كاهنته مرتيل **Myrtile** بأن الأجدر بهم أن يفعلوا أكثر الأشياء نكراً، فلم يسعفهم تفكيرهم في تلك اللحظة بأكثر من أن يلقوا هذه الكاهنة في دست ملئ بالماء المغلي وقالوا إنهم لم يجدوا أكثر من ذلك عملاً يتسم بالجحود ونكران الجميل.

والواقع أن كثيراً من هؤلاء الكهنة والعرافين قد لاقوا مصيراً سيئاً أشبه بهذا المصير إما بسبب النبوءات التي قالوا بها ولم تلاق هوى في نفوس سامعيها، وإما بسبب عدم تحقق النبوءات التي قالوا بها.

وقد عثر الأثريون على بعض لوحات نقشت عليها بعض الأسئلة التي كان يوجهها الناس إلى وحي دودونا منها هذا السؤال: "هل فقدت مني أغطيتي ووسادتي أم سرقها غريب؟" وسأل آخر: "هل أنا أبو هذا الجنين الذي سوف تضعه زوجتي نيلا **nyla** قريباً؟" وغير ذلك من الأسئلة التي تدور على هذا المنوال.

ويا حبذا لو كان في مقدورنا أن نعرف ردود هذه الأسئلة ولكن المجموعات الكبيرة التي كانت تضم هذه النبوءات المختلفة والتي ظلت على قيد الوجود أكثر من ألفين من السنين قد اختفت نهائياً حوالي الوقت الذي استولى فيه الترك على مدينة القسطنطينية ولم يبق منها إلا بعض فقرات لا تغني الباحث كثيراً في هذا الموضوع.

ومجمل القول إن هذه النبوءات كانت من الأمور المعروفة في العهد القديم. وكان يعتقد فيها كثير من الأمم المتحضرة وفي طليعتها اليونان التي كانت تضم أحكم حكماء العهد القديم من أمثال أرسطو وأفلاطون وسقراط. والمعروف أنه قد جاء على لسان كاهنة دلفي أن سقراط هو أحكم حكماء البشرية. وكان هذا القول أثر عميق في نفس سقراط.

ومما يذكر أن هذا الفيلسوف عندما صدر الحكم الأثيم بموته قال:

"إني لمغتبط بهذا الموت كل الاغتباط لأن الإله لم يعطني شارة عندما برحت داري ولا عندما اعتليت هذه المنصة لأتولى الدفاع عن قضيتي ومن عادة الإله أن يعطني هذه الشارة كلما هددني الشر".

وهناك كلمة مشهورة يغروها التاريخ إلى سقراط وهي: "إن هناك شيئاً إلهياً ذلك هو ما أطيعه دواماً وهو على الرغم من أنه لا يدفعني إلى عمل ما فإنه كثيراً ما يمنعني عن الإقدام على عمل بالذات". ويروى عن سقراط أيضاً أنه رأى ذات يوم صديقه "أقريطون" وقد عصب عينه برباط فقال له مستفسراً: "ماذا دهاك يا أقريطون؟ فأجابه هذا قائلاً:

"بينما كنت أتجول في الريق إذا بغصن شجرة منحن قد انطلق وأصاب عيني" فقال سقراط: "هذا معقول لأنك أبيت طاعتي عندما أرسلت في طلبك لتعود من حيث كنت، استناداً إلى النذير الإلهي الذي اعتاد زجري".

على أن اليونانيين في ذلك العهد البعيد كانوا نزاعين أيضاً إلى الشك في كل شيء كما هو شأننا اليوم. فنحن اليوم نشك في كل شيء ونسخر من كل شيء ونطلب تفسيراً معقولاً لكل شيء وكذلك فعل اليونانيون. على أن الكهنة في مراكز هذه الهواتف الإلهية كانوا على جانب كبير من اللباقة والدهاء وبعد النظر ولهم تجارب منوعة في شتى الأمور. وليس من شك مع هذا أن الكثير من هذه التنبؤات التي قالوا بها لم يتحقق، كما أن كثيراً منها كان على جانب كبير من الغموض والإبهام.

على أن هذا كله لا يفسر لنا ذلك النظام التنبؤي الذي ظل قائماً طوال آلاف السنين في أكثر الأمم حضارة وتقدماً. لقد استشار الملوك

والساسة هذه الهواتف في أعقد المشاكل في السياسة وشئون الدولة. وقد قال شيشرون خطيب الرومان الأشهر – وكان خصماً عنيداً للتنبؤ في مختلف فنونه – "إن مهبط الوحي في دلفي ما كان يكثر زواره على هذا النحو ويشتهر إلى هذا الحد ويزدحم بالقرابين، تقدمها الشعوب والملوك من كل صوب، لو أن الناس في مختلف العصور لم يضعوا صدق نبوءاته موضع اختبار. والآن وقد تغير هذا زمن طويل واضمحلت شهرته في الوقت الحاضر إذ لم يعد له من بعد الصيت ما كان له قديماً، فإنه ما كان يصيب هذه الشهرة في ماضيه لو أنه كان غير خليق بالتقدير في أعلى مراتبه. ومن الممكن أن تكون الأبخرة الأرضية التي كانت تضئ نفس كاهنة "بيثيا" بالإلهام الإلهي قد اختفت بالتدريج على مر الزمان، كما جفت فيما نعلم أنهار واختفت من الوجود. بينما غير بعض الأنهار الأخرى بالانحراف والدوران مجراه".

ولعل من أشهر نبوءات العالم القديم التي صدرت عن وحي دلفي هي النبوءة المتصلة بالملك قارون **Croesus** ملك ميديا. وكان هذا الملك من أغنى ملوك الأرض وكان يضرب بثرائه الأمثال فيقال أغنى من قارون. وقد حفظت لنا كتب التاريخ قصة هذه النبوءة التي قيلت لهذا الملك والرؤيا التي رآها وما كان من أمر تحقق النبوءة والرؤيا معاً.

اعتلى قارون هذا عرش بلاد ليديا بعد وفاة والده وبدأ يحكم وهو في الخامسة والثلاثين من عمره. وقد أغار قارون على جميع الولايات اليونانية في آسية الصغرى، سواء ما كان منها تابعاً للأيونيين أو للأيوليين،

وأخضعها جميعاً إلى سلطانه. ولم يكتف قارون بإرغام اليونانيين في آسية الصغرى على دفع الجزية له، بل صمم على بناء أسطول ضخم يهاجم به اليونانيين من سكان الجزر، ولكنه أقلع عن تلك الفكرة نزولاً على مشورة بعض الناصحين واكتفى بأن أصبح صاحب الكلمة العليا على جميع الدويلات التي كانت منتشرة في آسية الصغرى.

وبعد أن حصل قارون على هذه الانتصارات كلها وبسط من سلطان ليديا أصبحت ساردس **Sardis** عاصمة ليديا موئلاً للمشاهير والعظماء، وأصحاب الفلسفة والمواهب الفنية في جميع البلاد. وكان من بين هؤلاء الذين وفدوا على ساردس صولون المشرع اليوناني المشهور. فقد سن هذا المشرع نزولاً عند رغبة الأثينيين مجموعة من القوانين لتطبيقها في بلادهم ثم خرج بعد ذلك يجوب بلاد العالم في رحلة استغرقت عشر سنوات متصلة. وكان الغرض الظاهر من هذه الرحلة هو الدرس والإطلاع، أما هدفه الحقيقي فكان لتجنب ضرورة إلغاء أو إبطال هذه القوانين التي سنها. فقد كان الأثينيون لا يستطيعون أنفسهم عمل ذلك؛ إذ آلوا على أنفسهم أن يحتفظوا بهذه الأنظمة القانونية التي وضعها صولون دون انتهاك طوال عشر سنوات.

وقد زار صولون عدة بلاد منها مصر ثم ذهب، إلى ساردس عاصمة الملك قارون وهناك قابل الملك بالترحاب ودعاه للإقامة في قصره. وبعد أيام من حضوره إلى القصر كلف قارون خدمه بأن يصطحبوا صولون ويطلعونه على خزائن ثروته ليرى ما بها من نفائس وتحف. ولما تم ذلك استدعاه قارون ووجه إليه الخطاب قائلاً:

"ضيفي الأثيني، إن صوت الشهرة يفصح عالياً عن حكمتك. ولقد سمعت الكثير عن أسفارك وأنك قمت بدافع حبك للفلسفة بزيارة جزء كبير من العالم، الأمر الذي دفعني لأن أعرف منك أي رجل من بين الذين شاهدتهم هو أسعد الناس في رأيك".

كان قارون يتوقع أن يكون هو أسعد البشر، الأمر الذي دفعه إلى سؤال صولون هذا السؤال. ولكن صولون برهن بإجابته أنه من أنصار الحق وأنه يمقت التملق والمداهنة.

أجاب صول: "أظن أيها الملك أن تللوس الرجل الأثيني هو الشخص الذي يستحق أكثر من غيره أن نطلق عليه لفظ السعيد". وقد عجب قارون من هذا القول فسأله: "وعلى أي شيء أقمت هذا الإدعاء؟" فأجابه صولون: "لأن تللوس هذا كان يعيش في ظل حكومة عادلة، وكان له كثير من الأبناء الفضلاء المحبوبين. وقد رأى تللوس أحفاده ولم يمت أحد منهم في حياته. وبعد حياة موفقة ناجحة احتفلنا بجنازته بكل مظاهر التشريف والتبجيل، إذ اشترك في الدفاع عن وطنه ضد العدو، ووقع شهيداً في ميدان الفخار والمجد. وقد دفنه الأثينيون حيث استشهد، وأقاموا له احتفالاً فخماً".

وظل صولون يحكي من أمجاد تللوس هذا الشيء الكثير ولكن قارون قاطعه لأنه رغب متلهفاً أن يعرف الشخص الذي يمكن أن ننعته بالسعيد بعد تللوس هذا، ولم يكن يشك قارون أن إجابة صولون سوف تنصب عليه هذه المرة.

أجابه صولون: "هما كليوبس **Cleobis** وبيتو **Bito** وهما أخوان من أهل أجيف، كانت ظروف حياتهما ملائمة، وقد اشتهرا بقوتهما البدنية الأمر الذي توجا من أجله بأكاليل الغار لفوزهما في المسابقات العامة. ومما يحكى عنهما أنه أبان الاحتفال الذي أقيم للإله جينو حيث كان المفروض أن تحمل أمهما إلى المعبد على عربة تجرها الثيران. ولسبب ما لم تتمكن الثيران من القيام بعملها، فما كان من هذين الشابين إلا أن وضعا نير العربة على أكتافهما، وسحبا العربة وعليها أمهما حتى باب المعبد لمسافة طولها نحو ستة أميال. وقد قاما بذلك أمام عدد جم من النظارة، وما أن انتهيا من تلك المهمة حتى اختتما حياتهما بشكل فريد سعيد. فقد دلل الآلهة في هذه الحادثة على أن الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. لقد أفصح الحاضرون عن إعجابهم بعمل هذين الشابين وامتدحوا قوتهم البدنية وتمنت النساء أن يكن في مركز أمهما التي اغتبطت لهذا العمل الذي صاحبه المجد والفخار.

وقفت الأم أمام المذبح وابتهلت إلى الآلهة أن تخلع على ولديها أحسن النعم التي يمكن أن يحصل عليها إنسان. وما أن انتهت الأم من ابتهالاتها وانتهت الجموع من تقديم القرابين حتى انتحيا الشابان مكاناً منعزلاً بالمعبد ليأخذا قسطهما من الراحة بعد خذا العمل المجهد، ولكنهما لم يقوما من مكانهما أبداً بعد ذلك إذ انتهت حياتهما عند هذا الحد. وكان من أمر أهل أرجيف أن أقاموا تمثالين لكليوبس وبيتو واحتفظوا بهما في معبد دلفي على اعتبار أنهما شخصان يستحقان أعظم التقدير".

وتلك في رأى صولون وتقديره سعادة من الدرجة الثانية.

وظل قارون غير راض عما سمعه من صولون فوجه الكلام إليه قائلاً: "أيها الأثيني، إنك باحتقار إلى مظاهر ثرائي بحيث وضعتني في مرتبة أدنى من مرتبة أشخاص مغمورين لا شأن لهم". فقال صولون: "لا تنعت أي شخص بأنه سعيد إلا بعد أن تعرف طبيعة مبتته. إن أسباب السعادة ليست في مستطاع أي شخص أن يحصل عليها جميعاً" وما إن سمع قارون هذه الكلمات من صولون حتى انصرف عنه عازفاً عن سماع رأيه فيه؛ فخرج هذا المشرع الفيلسوف من قصر قارون آسفاً على مسلك هذا الملك، الذي أبى أن يستمع لصوت الحكمة على لسان هذا المشرع العظيم.

وما إن رحل صولون حتى رأى قارون مناماً أزعجه أشد الإزعاج، وكأنه عقاب حكمت به السماء نظير عجرفته وادعائه بأنه أسعد الناس جميعاً. رأى قارون في منامه رؤيا تهدده بكارثة حرمته فيما بعد من ولده. كان لقارون ولدان: أحدكما أبكم، أما الآخر ويدعى أتيس **Atys** فكان يمتاز بتفوقه ونباهته. وكان مغزى الحلم الذي رآه قارون أن ولده أتيس سوف يموت بطعنة من سن رمح حديدي. هب قارون فزعاً من هذا الحلم وأخذ يقلب الأمر على جميع وجوهه. وكانت أول خطوة اتخذها أن قرر تزويج ابنه هذا ثم نحاه عن قيادة الجيوش الليدية التي قادها أتيس من قبل في عدة حملات، ثم نقل بعد ذلك جميع الرماح والنبال وغيرها من أدوات القتال من منازل الرجال إلى منازل النساء حتى لا تصيب واحدة منها ابنه، إذ ربما تسقط عليه من مكانها المعلقة به.

وبينما كان قارون منهمكاً في حفلات زفاف ابنه أتيس إذ جاء ساردس أحد أفراد الأسرة المالكة في فريجياً لاجئاً بعد أن ارتكب جريمة قتل. وقد حضر إلى قصر قارون طالباً من الملك حمايته. ولما سأله قارون في أمره علم منه أنه يدعى أدراستوس وأنه قتل أخاه عن غير عمد فنفاه أبوه من البلاد. ولما كان قارون على علاقات طيبة مع أسرة هذا اللاجئ، فقد فتح له أبواب قصره وبسط عليه حمايته.

وقد ظهر في حوالي ذلك الوقت في ميسيا **Mysia** بالقرب من أولمبوس خنزير برى هائل ضخم كان يهبط من الجبال بين الحين والآخر، ويفتك بمن يصادفه من أهل تلك البلاد. وقد هاجمه الأهالي أكثر من مرة ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليه. ولما عز عليهم الأمر استنجدوا بالملك قارون، وطلبوا إليه أن يرسل إليهم ولده على رأس جماعة من شباب ليديا، ومعهم عدد من كلاب الصيد لتخليصهم من هذا الحيوان المفترس. ولكن قارون تذكر الحلم الذي رآه فأرسل إلى أهل ميسيا يعتذر عن إرسال ولده، بحجة أنه قد تزوج حديثاً ولا يسمح له وقته بمصاحبة هذه البعثة المطلوبة. ولما سمع أتيس بذلك أسرع إلى أبيه قارون ورجاه أن لا يحرمه من هذه الفرصة التي تتيح له أن يظهر شجاعته أمام زوجه، وأمام مواطنيه بوجه عام. فأخبره أبوه خبر الحلم الذي رآه فأقنعه أتيس أنه لو كان قد رأى في المنام أنه سيموت بوخزة قرن أو نحو ذلك لكان له العذر في منعه من مصاحبة هذه البعثة. وأخيراً سمح له أبوه بالذهاب إلى ميسيا مع أفراد البعثة للقضاء على هذا الخنزير البري المتوحش.

وكان من أمر قارون أن أحضر هذا اللاجئ الفريجي وطلب منه نظير إيوائه وبسط حمايته عليه أن يكون حارساً أميناً لابنه طوال مدة هذه البعثة. ولقد قبل ذلك هذا اللاجئ عن طيب خاطر.

خرجت البعثة إلى ميسيا وكانت تضم نخبة من شباب ليديا الماهرين في الصيد والقنص ومعهم عدد من كلاب الصيد المدربة. وقد وصلوا إلى جوار أولمبوس وبحثوا عن الخنزير حتى وجدوه فضيقوا عليه الحصار وهاجموه برماحهم. وحدث أن سدد أدراستوس رمحه نحو الخنزير ولكنه أخطأه وأصاب سن الرمح أتيس فقتله. وبذلك تحققت رؤيا قارون. وما إن علم قارون بمقتل ولده حتى أخذ يندب سوء حظه. وقد تقدم إليه أدراستوس طالباً منه أن يأمر بقتله لما اقترفته يداه، ولكن قارون أجابه قائلاً: "إنك لست مذنباً فقد ارتكبت ذلك عن غير عمد، إن الإله الذي حذرني من هذا الشر هو الذي قام به".

وقام قارون بعد ذلك بدفن ولده باحتفال مهيب. وفي المساء تسلل أدراستوس الذي قتل أخاه ثم صديقه إلى قبر أتيس وأخذ ينعيه وينعت نفسه بأنه أتعس البشر طراً ثم طعن نفسه بخنجر فخر صريعاً فوق قبر أتيس.

أمضى قارون السنتين اللتين أعقبتا وفاة ابنه في حزن عميق. ولم يكن يشغل باله في تلك الفترة إلا ازدياد عظمة الإمبراطورية الفارسية وعلى رأسها الملك كايروس بن قمبيز. أخذ قارون يتساءال هل يقدم على عمل بوقف به توسع هذه الإمبراطورية قبل أن تصبح خطراً يهدد دولته، أم يترقب ما سوف تجئ به الأيام. وأخيراً صمم على استشارة مراكز

الوحي في اليونان والأخرى الموجودة في ليبيا. وأرسل لهذا الغرض رسلاً إلى دلفي ودودونا وبرانشيدا وتروفونيوس وأمفياروس وهي أشهر مراكز الوحي في اليونان القديمة، كما أرسل رسله إلى مركز الوحي الشهير في صحراء ليبيا وهو المعروف باسم زيوس آمون.

وكان غرض قارون من ذلك أن يختبر صدق هذه الهواتف السماوية ثم يحصل منها بعد ذلك على رأى قاطع بخصوص حملة يوجهها لمقاتلة الملك كايروس والقضاء على دولته. وزود قارون رسله بتعليماته وهي أن يسألوا هذه المراكز في اليوم المائة من رحيلهم من ساردس عما يفعله الملك قارون في ذلك اليوم ويدونوا ذلك كتابة ثم يخبرونه به بعد عودتهم إلى ساردس. ولم يحفظ لنا التاريخ الإجابات التي ذكرتها هذه المراكز التنبؤية؛ وكل ما يعرف أن رسل قارون ما إن دخلوا معبد دلفي في اليوم المحدد وتقدموا بسؤالهم لكاهنته بثيا حتى أجابت:

إنني أحصى الرمال وأكيل البحار

وأسمع الأبكم والأصم صوتي

والآن يتصاعد إلى أنفي رائحة

سلحفاة وشاة في قدر يغليان

حيث نحاس من أسفل ومن أعلا نحاس

ولما عاد الرسل إلى ساردس وأخبروا الملك بالإجابات التي سمعوها من هذه المراكز المختلفة وجد أنها غير مرضية، ولكن ما أن

سمع إجابة وحي دلفي حتى صاح بأن هذا هو ما كان يفعله في ذلك اليوم المحدد. لقد عمد قارون في ذلك اليوم إلى صنع شيء لا يخطر على بال أحد فقد أخذ سلحفاة وشاة وقطعهما إرباً ثم وضعهما في قدر من النحاس له غطاء من النحاس وأشعل النيران تحت القدر فأخذ يغلي بما فيه. وعزم قارون بعد ذلك على أن يستحوذ على عطف ورضاء إله دلفي عن طريق تقديم القرابين العظيمة. وتذكر كتب التاريخ أنه قدم من جميع الحيوانات الصالحة للقرابين ثلاثة آلاف رأس من كل منها، كما أنه أحرق عدداً كبيراً من غالي الثياب والرياش المحلاة باللآلئ ونفيس الأحجار الكريمة على أمل أن ذلك كله سوف يكسبه عطف ومناصرة إله دلفي كما طلب من الليديين أن يقدم كل منهم ما يملك قرباناً لهذا الإله.

وبعد أن انتهى قارون من تقديم هذه القرابين حتى أذاب قدراً كبيراً من الذهب وصنع منه قواعد للتماثيل طول الواحدة منها ستة أشبار وعرضها ثلاثة أشبار، وارتفاعها شبراً، وبلغ عددها ١١٧ قاعدة. وكان أربع من هذه القواعد من الذهب الخالص أما الباقية فكانت من خليط الذهب والفضة، كما صنع تمثالاً لأسد من الذهب الخالص حمله على هذه القواعد.

ولما أتم قارون صنع هذه الأشياء كلها أرسلها إلى دلفي ومعها أكثر من ذلك، قدران كبيران إحداهما من الذهب والأخرى من الفضة، وضعت الذهبية منها إلى يمين الداخل إلى المعبد والفضية إلى يساره. وأرسل قارون أكثر من ذلك، أربع قوارير فضية لحفظ الخمور واثنتين لحفظ ماء الطهور إحداهما من الذهب والأخرى من الفضة وغير ذلك من نفيس التحف والهدايا.

وطلب قارون من الرسل الذين حملوا هذه الهدايا إلى معبد دلفي أن يسألوا وحي دلفي هذا السؤال: "هل يخرج قارون لملاقاة الفرس؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل سيتحالف معه غيره في سبيل تحقيق هذا الغرض؟" وكانت الإجابة التي تلقاها كما يلي: "إذا خرج قارون لمحاربة الفرس فإنه سيقضي على إمبراطورية عظيمة". كما تضمنت الإجابة توصية بالتحالف مع أقوى الدويلات اليونانية.

ولما سمع قارون هذه الإجابة فرح غاية الفرح على أمل أنه هو الذي سيقهر كايروس ويقضي على دولته. لقد فسر قارون هذه النبوءة وفق هواه فعمل على إيجاد تحالف دفاعي بينه وبين كثير من الدويلات اليونانية، وكذلك بينه وبين المصريين، ثم خرج بعد ذلك لمحاربة فارس. وقد حذره بعض عقلاء القوم من مغبة هذه الحملة لأنه لو انتصر على الفرس فسوف لا يجني شيئاً من هذا الانتصار أما إذا لحقت به الهزيمة فسوف يفقد كل شيء، ولكن قارون اختار الحرب وكانت النتيجة أن لحقت به هزيمة منكرة. فقد اجتاح الفرس مدينة ساردس عاصمة ليديا بعد أربعة عشر يوماً من بدء القتال ووقع قارون نفسه في الأسر.

وقد أمر كايروس ملك الفرس بأن يحرق قارون على كومة هائلة من الحطب. وبينما هو واقف على هذه الكومة في انتظار مصيره المحزن وإذا به يخرج من بين ضلوعه أنات عميقة ويهتف ثلاث مرات قائلاً: صولون، صولون. فقد تذكر للتو قول صولون بأنه لا يصح أن ننعت أي شخص بأنه سعيد إلا بعد أن نعرف طبيعة ميتته. وقد أحب كايروس

الملك المنتصر أن يعرف ما يقصده قارون من مناجاة هذا الشخص الذي يسمى صولون، ولكن قارون ظل صامتاً فترة من الوقت لا يحير جواباً ولما أرغم على الكلام ذكر قصته مع صولون المشرع الأثيني وأن المال في واقع الأمر لا يمكنه يحال أن يسعد صاحبه.

وبينما كان قارون يقص على السامعين قصته مع صولون إذا بالنيران قد اشتعلت في كومة الحطب التي سيحرق عليها قارون هو واثنى عشر شاباً من أبناء ليديا. ويقال إن كايروس بعد أن سمع هذه القصة من قارون رأى أنه من الجهل والغباء أن يقدم للنيران رجلاً لم يكن أقل منه جاهاً وثراء، وخشى أن يحل به هو نفسه في يوم من الأيام ما حل بقارون، إذ ما من شيء يملكه الإنسان له صفة الدوام والبقاء أمر بأن تطفأ النيران بأسرع ما يكون وأن ينزل قارون من فوق منصة الإحراق هو ومن معه؛ ولكن الجند لم يستطيعوا التحكم في النيران التي كان قد استعرض أوارها في تلك اللحظة.

وتذكر كتب التاريخ أن قارون لما علم أن الملك كايروس قد غير من رأيه وأن كل فرد من الحاضرين يحاول إطفاء النيران دون جدوى ابتهل إلى الإله أبوللو أن يهب لنجدته وتخليصه من هذا البلاء المحيط به إذا كان قد تقبل منه أية هدية أو قرباناً من القرابين التي قدمها إليه. وكان الدمع يهطل من عيني قارون وهو يتوسل إلى هذا الإله. وفجأة تغيم السماء بعد أن كانت صافية وتهب العاصفة وتنهمر الأمطار فتخمد كومة الحطب التي كان سيحرق فوقها قارون.

ولما شاهد كايروس ذلك ادرك أن قارون من الرجال الورعين المتعلقين بالآلهة لذلك أدناه منه وسأله: "أخبرني يا قارون من الذي حرضك على

الخروج ضدي وبهذا أصبحت عدواً لي بدل أن تكون صديقاً؟" فأجابه قارون: "أيها الملك إنني صنعت ذلك لحظى التعس ولطيبة نفسك المتناهية، فقد دفعني إلى ذلك الإله الذي استشرته، فليس من أحد هو من البلاهة وعدم الحس والتقدير بحيث يؤثر الحرب على السلام، ففي وقت السلم يدفن الأبناء آباءهم أما في الحرب فيدفن الآباء أبناءهم".

ومهما يكن من الأمر فإن قارون قد علم أنه بخروجه لقتال الفرس فإن دولة كبرى سوف تنهار – كما وعدت بذلك النبوءة – وإن كان الذي حدث هو انهيار إمبراطوريته.

هذا ولم تكن النبوءات محصوؤة في اليونان وحدها بل كانت معروفة أيضاً في مصر، بل هي في مصر أقدم تاريخاً منها في اليونان. فوحى آمون رع في مصر يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وكان به طيف يمثل الإله يتحدث إلى الناس، ويقبل منهم الأسئلة ويجيب عنها، ويقال إن الإسكندر الأكبر عندما زار معبد آمون رع في صحراء مصر خرج إليه هذا الطيف وخاطبه قائلاً: "إنني أعدك بأنك سوف تملك البلاد جميعاً وتخضع لك جميع الأديان".

واشتهر أيضاً في البلاد المصرية وحي هليوبوليس، وكان الناس يفدون إليه في كل بلد لاستشارة كهنته في أهم أمورهم. والمعروف أن افمبراطور الروماني تراجان أرسل قبل أن يشترك في حرب برثياً وفداً إلى هذا المركز التنبؤي لاستشارة كهنته في مصير هذه الحرب. وتذكر التواريخ أن الكهنة أجابوا إجابة صامتة، وذلك بأن أرسلوا إلى تراجان

غصن كرم مكسور دون أي تعليق أو شرح. وقد قتل هذا الإمبراطور في هذه الحرب وحمل جثمانه إلى روما. وعند ذلك تذكر الناس نبوءة وحي هليوبوليس وقالوا لو كان تراجان يعتقد حقاً في هذه النبوءات لما أقدم على هذه الحرب بعد أن وصله هذا الغصن المكسور.

والظاهر أن أخبار النبوءات الغامضة هي التي وصلت إلينا دون النبوءات الواضحة. والواقع أنه كانت هناك نبوءات صادقة كثيرة قدمت لأفراد كثيرين ولكن لم يهتم أحد بتسجيل هذه النبوءات الشخصية يعكس الحال مع النبوءات السياسية الكبرى التي كان يسعى إليها الملوك والحكام.

ومهما يكن من الأمر فقد ظلت هذه النبوءات قائمة أجيالاً طويلة وكانت معروفة أيضاً في العهد المسيحي حتى أن ترتوليان أحد آباء الكنيسة في القرن الثالث الميلادي قد أعلن أن العالم لا يزال مزدحماً بالنبوءات. وكانت الحياة الرومانية مليئة بهذه النبوءات وخاصة ما كان منها متصلاً بحياة القياصرة وأعمالهم وهذا هو السبب في اهتمام بعض المؤرخين بهذه التنبؤات.

فقد تنبأ العراف سبورينا **Spurinna** بما حدث ليوليوس قيصر في اليوم الخامس عشر من شهر مارس. وحذره من خطر عظيم لا يمكن رده سوف يقع في ذلك اليوم. وقد رأت كالبورينا زوجة يوليوس قيصر في منامها حلماً تشاء مت منه غاية التشاؤم؛ إذ رأت أن برج منزلها قد تهدم وأن زوجها قدطعن وهو بين ذراعيها. وكان يوليوس قيصر يشعر بالمرض فآثر المكوث في منزله في ذلك اليوم المشئوم يوم مارس سنة ٤٤ قبل الميلاد. غير أن صديقه بروتس ذكر له أن جمعاً غفيراً من أعضاء مجلس

الشيوخ ينتظره بالمجلس فلا يصح له أن يخيب آمالهم.

وفي أثناء الطريق إلى مجلس الشيوخ قابل قيصر العراف سبورينا وكان الوقت إذ ذاك حوالي الحادية عشرة صباحاً. فما إن رآه يوليوس قيصر حتى ابتسم له قائلاً: "ها قد حل اليوم الخامس عشر من شهر مارس ولم تحدث أية كارثة" فأجابه سبورينا "نعم قيصر ولكن لم يمض بعد هذا اليوم".

وكلنا نعرف أنه لم تغرب شمس ذلك اليوم إلا وكان يوليوس قيصر قد انتقل إلى العالم الآخر إثر طعنة نجلاء تلقاها من يد صديقه بروتس. وقال الناس في ذلك الوقت لو كان يوليوس قيصر حقاً في هذه النبوءات لما اغتيل في يوم ١٥ مارس.

وكان من الطبيعي أن تعني القياصرة بعد ذلك بهذه التنبوءات فقد لجأوا إلى مراكز الوحي المختلفة يستنبئونها الغيب في أوقات الحرب وفي أوقات السلم وفي كل أمر ذي شأن.

وكان بعض مشاهير الرومان لهم القدرة على التنبؤ بالغيب نذكر منهم فيجولوس **Figulus** أحد أعضاء مجلس الشيوخ بروما. فقد كان هذا الرجل يعد في نظر معاصريه أعلم الناس بالتنجيم. واتهمه البعض أنه من المشتغلين بالفنون الخفية. ويذكرون أنه شاهد ذات يوم أكتافيوس وقد جاء إلى مجلس الشيوخ متأخراً بعض الوقت فلما سأله في ذلك علم منه أنه ولد له ولد في ذلك اليوم فصاح فيجولوس قائلا: "لقد قدمت إلينا سيداً حاكماً". ولقد اكتأب أكتافيوس عند سماعه هذا لأن الرومانيين في تلك الأيام كانوا لا يزالون يرون أنهم أمة ديمقراطية لذلك فكر

أكتافيوس أن يقضي على هذا الوليد ولكن فيجولوس نصحه أن لا يقدم على ذلك لأنه من المحال أن يغير أكتافيوس من المصير المحتوم.

ولقد لعبت النبوءات دوراً هاماً في حياة أغسطس ولد أكتافيوس، ففي الوقت الذي كان فيه أكتافيوس على رأس جيش في تراقيا لم يفته أن يستشير الوحي هناك عن مصير ابنه. وبينما هو في المعبد يصب الخمر على المذبح وإذا بألسنة النيران تغمر المعبد وترتفع إلى عنان السماء. وأخبر كهنة المعبد أكتافيوس أن حادثاً مثل هذا قد وقع مرة واحدة وذلك عندما كان الإسكندر الأكبر يقدم القرابين عند المذبح.

ويقال غن تيوجينس المنجم الروماني المشهور قد رغب في قراءة طالع الطفل أغسطس. فما إن ذكر الطفل تاريخ مولده حتى هب تيوجينس من فوق مقعده وركع عند قدمي هذا الطفل. وكان أغسطس من ناحيته يعتقد في صدق طالعه ولذلك ما أن بلغ التاسعة عشرة من عمره حتى غادر المدرسة واعتلى عرش أكبر إمبراطورية معروفة في ذلك الوقت.

ولقد حذر وحي دلفي الإمبراطور نيرون من الرقم ٧٣. ولقد فسر هذا نيرون بأنه سوف يحكم حتى يبلغ الثالثة والسبعين من عمره ولكن الواقع أن هذه الإشارة كانت تشير إلى حكم خلفه الإمبراطور جلباً الذي حكم عدة أشهر وكان وقتذاك في الثالثة والسبعين من عمره.

وقد دمر نيرون وحي دلفي إبان ثورة من ثوراته الجنونية، لأنه رأى في وجوده إنتقاص لسلطانه، وقد خشى أن يظن الناس أن أبوللو إله دلفي أعظم من نيرون.